الْمُنْجِيَات مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاء

خطبة جمعة بتاريخ / 10-6-1440 هـ

الحمد لله ؛ نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ؛ من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، وصفيُّه وخليله ، وأمينه على وحيه ، ومبلِّغ الناس شرعه ؛ فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أمَّا بعد أيها المؤمنون: اتقوا الله تبارك وتعالى، وراقبوه في جميع حركاتكم وسكناتكم مراقبة من يعلم أن ربَّه يسمعُه ويراه ، وفي تقوى الله جل وعلا خلَفٌ من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلَف .

أيها المؤمنون : يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((اتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ)) ، إنها فتنة من أشد الفتن وأعظمها وأخطرها ؛ فيحتاج المرء –ولاسيما الشاب– أن يتفقه في هذا الباب فيما يعينه على الخلاص من هذه الفتنة والنجاة من الوقوع فيها ، لاسيما إذا كثرت المغريات وتنوعت الدواعي .

أيها المؤمنون : ولا أنفع في هذا المقام من أن نتدبر القرآن ؛ فإنه شفاءٌ من كل داء ، وبخاصةٍ تلك القصة العجيبة؛ قصة يوسف عليه السلام فإن فيها أعظم عبرة ، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[يوسف:111] ، فيوسف عليه السلام تعرض لهذه الفتنة تعرضًا هو من أشد ما يكون ، فقد أخبر الله عز وجل أن امرأة العزيز قد راودته عن نفسها ، أوتيت منصبًا وجمالا ، وهو شاب في أوج شبابه وقوة نشاطه ، وفي بلد غربة ، وهي التي دعته إلى نفسها ، وتهيأت له وعملت على إغرائه ، وغلَّقت الأبواب ، واجتهدت في أن توقعه في شراك هذه الفتنة بكل ما أوتيت من سبيل أو طريق ؛ فنجَّاه الله . فيحتاج المرء وبخاصةٍ الشاب أن يتأمل في الأسباب التي كانت نجاةً ليوسف عليه السلام ، متدبرًا كلام الله عز وجل مستلهمًا من هذا ما يُعينه على الخلاص من هذه الفتنة العظيمة الخطيرة .

أيها المؤمنون : وبالتأمل في هذا السياق الكريم ؛ نجد أن الأسباب المعينة على النجاة من هذه الفتنة مستخلصةً من قصة يوسف عليه السلام سبعة أسباب ، ولنتأملها جيدا :

- الأول : الاستعاذة بالله ، فإن من استعاذ بالله أعاذه ، ومن توكل على الله كفاه، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[آل عمران:101] ؛ ولهذا بادر عليه السلام إلى التعوذ بالله جل وعلا ، فقال حين راودته: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾[يوسف:23] أي: أستعيذ بالله . والاستعاذة –أيها المؤمنون– حصنٌ حصين وحرزٌ متين يقي المسلم بإذن الله من الفتن كلها والشرور بجميع صورها.

- الأمر الثاني : أن يستحضر المرء في هذا المقام أن هذه الفَعلة ظلمٌ وأيُّ ظلم ، وهو أمرٌ لا يرضاه المرء لنفسه في أهله ، ولهذا قال عليه السلام مستحضرًا ذلك: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف:23] ؛ فهذا ظلمٌ لا يفلح من قارفه بل إنه يكون من الخاسرين ، وفي المسند للإمام أحمد في قصة الشاب الذي جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال: «يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا»، فنهره الصحابة ، فأدناه النبي عليه الصلاة والسلام وقال له : ((أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟)) ، ((أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟)) ، ((أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟)) ، ((أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟)) ، ((أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟)) وفي كل ذلك يقول الشاب: «لَا وَاللهِ ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ» ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: ((وكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم ولا لبناتهم ولا لأخواتهم ولا لعماتهم ولا لخالاتهم)) لأنه ظلمٌ شنيع .
- الأمر الثالث : تجديد الإيمان وتقويته ؛ فإن الإيمان عصمةٌ لصاحبه ونجاة في الفتن ، وتأمل قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف:24] ؛ والمراد ببرهان ربه على الصحيح في معناها : أي ما معه من العلم والإيمان . وأعظم الإيمان ردعًا وزجرا: الإيمان بالله وعظمته جل في علاه ، وأنه عز وجل مطلع على العباد يعلم سرهم ونجواهم لا تخفى عليه من العباد خافية ، فهذا برهانٌ عظيم إذا حضر في قلب المؤمن عند الفتنة استحيا من ربه ومولاه أن يراه حيث نهاه .
- الرابع عباد الله : تحقيق الإخلاص ؛ فإن الإخلاص خلاصٌ من الفتن ، ونجاة من المحن ، وسلامة من البلايا والشرور ، وتأمل في قصة يوسف يقول الله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:24] وفي قراءة «المخلِصين» ؛ أي المخلِصين لله . فمن أخلص قلبه لله لم تجد هذه الشهوات المحرمة والملذات المنهي عنها سبيلًا إلى قلبه.
- الخامس عباد الله : الفرار بالنفس من الفتن ولاسيما عند انعقاد أسبابها ووجود موجبات وقوعها ، فها هو يوسف عليه السلام لما وجدت هذه الفتنة العصيبة فرَّ متجهًا إلى الباب ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ [يوسف:25] فرارًا من الفتنة ناجيًا بنفسه ، وهكذا ينبغي أن يكون عبد الله المؤمن ؛ لا يخطو خطوات تفضي به إلى الفتنة ، وإذا وقع في شيء من ذلك فعليه أن ينجو بنفسه فرارًا من الفتن ، لا أن يستشرف لها أو يعرِّض نفسه للوقوع فيها ، بل عليه أن يفر من الفتن طلبًا لنجاة نفسه وسلامتها وعافيتها .
- الأمر السادس عباد الله : الاستعصام ؛ وهذا شأنه عظيم ، قال الله عز وجل ذاكرًا عن امرأة العزيز في هذا السياق ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف:32] ، والاستعصام –عباد الله– هو القوة مع النفس في منعها وكفِّها وزجرها والأخذ بأسباب نجاتها وسلامتها ، وهكذا كان عليه السلام . والناس في هذا المقام عند ورود الفتن بين مستعصِمٍ ومستسلم ؛ ومن استعصم نجا ، ومن استسلم للفتنة هلك .

- الأمر السابع عباد الله : الإلحاح على الله بالدعاء وصدق الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى ؛ فإن من دعا الله صادقًا أجاب الله دعاءه وحقق رجاءه وأعطاه سؤله ، ويوسف عليه السلام لجأ إلى ربه معتصمًا بالله طالبًا نجاته وسلامته ممن بيده الأمر كله سبحانه وتعالى ، ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[يوسف:33] ؛ دعا بهذه الدعوات الصادقات ملتجئًا إلى رب الأرض والسماوات ؛ فأجاب الله دعوته وحقق طِلبته ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[يوسف:34] .

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا أجمعين بصيرةً في دينه ، وحُسن تدبرٍ لكتابه وجمال ائتساء بأنبيائه وأصفيائه ، وأن يلحقنا بالصالحين من عباده .

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله كثيرا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد أيها المؤمنون : اتقوا الله ؛ فإن من اتقى الله وقاه ، وأرشده إلى خير أمور دينه ودنياه. واعلموا أن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وعليكم بالجماعة ؛ فإن يد الله على الجماعة .

أيها المؤمنون : وفي نجاة يوسف عليه السلام من هذه الفتنة وغيرها مما عرض له مما حكاه الله وقصه في سورة يوسف عليه السلام عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين ، ولاسيما من وفقه الله تبارك وتعالى للتأمل في آياته والتدبر لهداياته لتكون شفاءً لقلبه ونجاةً له من الفتن والشرور بأنواعها .

وفي تمام قصة يوسف ذكر الله عز وجل خصلتين عظيمتين اتصف بهما عليه السلام فكانتا له نجاةً من كل فتنة وسلامةً له من كل بلية ، تأمل ذلك في خواتيم هذه القصة حيث قال عليه السلام: ﴿ أَأَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ ما سبب هذه المنة؟ وما سبب هذه النجاة ؟ قال: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف:90]؛ فجمع الله له بين التقوى والصبر ، وهما عاصمتان من الفتن ومنجيتان من كل هلاك.

رزقنا الله أجمعين حُسن التقوى ، وجعلنا من عباده المحسنين ، وأعاذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

وصلُّوا وسلِّموا -رعاكم الله- على محمد بن عبد الله كما أمركم الله بذلك فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦] ، وقال صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)) .

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيد ، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيد . وارضَ اللهمَّ عن الخلفاء الراشدين ، الأئمة المهدين؛ أبي بكرٍ الصديق ، وعمرَ الفاروق ، وعثمانَ ذي النورين ، وأبي الحسنين علي ، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين ، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ، وعنَّا معهم بمنِّك وإحسانك وكرمك يا أكرم الأكرمين .

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين ، اللهم انصر من نصر دينك وكتابك وسنَّة نبيك محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، اللهم انصر إخواننا المسلمين المستضعفين في كل مكان .

اللهم آمِنَّا اللهم في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين . اللهم وفِّق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه من سديد الأقوال وصالح الأعمال ، اللهم وفِّقه وولي عهده لما تحبه وترضاه يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم آت نفوسنا تقواها ، زكِّها أنت خير من زكاها ، أنت وليُّها ومولاها . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .